

الوطن في الذهنية العربية بين الماضي والحاضر

أ.العراي محمد

كلية الآداب واللغات. قسم الآداب

— جامعة بشار —

larabi.m@hotmail.com

ملخص:

يتناول هذا المقال مفهوم الوطن وتطوره وما اشتق منه كالوطنية والمواطنة ، وذلك من خلال إبداع الشعراء والكتاب باعتبارهم يمثلون الثقافة العربية ، ويساهمون في تشكل الذهنية .

عرف مفهوم الوطن تطورا عبر العصور ؛ فمن بلد النشأة إلى أن أصبح موقفا سياسيا فلسفيا بفعل الاحتكاك بالثقافة الغربية، ومن ثم تسربت الوطنية والمواطنة التي مازالت بعض الاتجاهات الدينية في البلدان العربية تنظر إليها بنوع من الريبة التي تصل أحيانا إلى حد التصادم والتعارض.

الكلمات المفتاحية: الوطن، الوطنية، المواطنة، الهوية، الانتماء، الحوار، الاختلاف، الحقوق، الواجبات، الميثاق، المشاركة، الإخلاص، المساواة، أمة.

Résumé:

Cet article examine le concept de la nation et de son développement et ses dérivés tel que le patriotisme et la citoyenneté, à travers la créativité des poètes et des écrivains comme représentant de la culture arabe, contribuant la forme de l'esprit.

Le concept de nation a connu un développement à travers les âges; du pays natal pour devenir une position politico-philosophique par friction avec la culture occidentale, de là, c'est infiltré la citoyenneté et le nationalisme que certaines tendances religieuses dans des pays arabes les voient avec méfiance et parfois jusqu'au conflit.

Mots-clés: patrie, patriotisme, citoyenneté, identité, appartenance, dialogue, différence, droits, devoirs, charte, participation, sincérité, égalité, nation

جُبِلَ الإنسان على حب الأرض التي رأى النور والحياة فيها، إنها حقيقة غير قابلة للمزايدة، إنها فطرة حب الوطن المرتبطة بأبناء آدم كلهم. إنه ارتباط بالزمان والمكان؛ ارتباط بالمكان من حيث وجود ذاته ليدل على وجوده في جزء معين منه ، فالزمان يحدد مدى هذا الوجود وكميته ، فالمكان هو الوطن والانتماء المكاني هو سَاحِلٌ أن أتناول الحديث عن الوطن وما ارتبط به من وطنية ومواطنة من خلال إبداع الشعراء وكتاب هذه الأمة باعتبارهم يمثلون الثقافة العربية وتشكل العقلية العربية.

الوطن لغة: جاء في اللسان: " الوطن المنزل تقيم به ، والجمع أوطان ، وأوطان الغنم والبقر مرابطها، وأماكنها تأوي إليها" ¹ ، من هذا التعريف يتبدى الوطن حيناً يأوي الإنسان والحيوان، وفي ذلك يستوي كل حيز يمكث فيه الإنسان دون أن يربطه به شعور، ولعل قول الحارث بن حلزة يوحى بذلك :

لا يُقِيمُ في البلدِ السَّهْمُ — ولا يَنْفَعُ الدَّلِيلَ النَّجَاءُ ² .

وعندما يفقد عنصر الارتباط (الشعور) بالوطن يسهل على الإنسان مغادرته، والتوجه إلى غيره كدعوة أبي تمام في قوله:

وفي الاصطلاح يعتبر الوطن مساحة الأرض أو المنطقة التي يرتبط بها الشعب ارتباطاً تاريخياً طويلاً، فهو المنطقة التي تولدت فيها الهوية الوطنية للشعب، وليس المنطقة الجغرافية التي ولدت فيها أمته.

الوسيلة التي تمكننا من تتبع تطور مفهوم الوطن وما اشتق منه كالوطنية والمواطنة.

يمكن العثور على ما يربط الإنسان العربي بوطنه منذ العصر الجاهلي من خلال مشاعر الشوق والحنين للديار التي قضى فيها الشعراء صباهم، ولهم فيها ذكريات، فارقوها تحت ظروف مختلفة

فحيل بينهم وبين الخبوبة مما ترك في قلوبهم لوعة كانت وراء قصائد رائعة استهلوها بالوقوف على الأطلال ، وتعتبر المقدمات الطللية إحدى صور حب الوطن والتعلق به، فقد قال امرؤ القيس:

قَفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَزَلِ بِسِقْطِ اللّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ 4
وعرف العرب بحبهم وحنينهم إلى أوطانهم، فقد قال الجاحظ في رسالة (الحنين إلى الأوطان): " كانت العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها تربة بلدها رملا عفرا تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع"5، وقال في "الحاسن والأضداد": "سئل أعرابي: ما الغبطة؟، فقال: الكفاية من لزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان، وقيل فما الذل؟ قال: التنقل في البلدان والتسنيح عن الأوطان"6.

إن الأرض تتحول من أرض مادية إلى معان معنوية تخص الشاعر وتعبر عن ذاته وحلمه وذكراه، فيتحول الوطن من ذكرى إلى نكرى تستعاد دائما.

ولقد حمل الشعر الجاهلي الكثير من أسماء الأوطان، وعلى سبيل المثال: سقط اللوى، الدخول، حومل، المقرأة، جلجل، ثمهد، الرقمتان، الجواء.... وغيرها من الأعلام التي تعلق بها الشاعر الجاهلي تعلق إقامة طويلة كانت أم قصيرة أو ذكريات من الأحبة، فقد ذكرها متلذذا أو معبرا عن الوفاء لها، أو حسرة عليها، أو حبا لها، فهي بالنسبة له وطن، أو وطن أحبته، وإن لم يعد لها - في وقتنا - وجود، فلولا الشعر الجاهلي لما عرفناها، وقد قال دوقلة المنبجي:

إِنْ تُتْهِمِي فِتْهَامَةً وَطَنِي أَوْ تُنْجِدِي يَكُنْ الْهَوَى نَجْدِي 7

فالوطن في نظر الشاعر هو الأرض التي تحل بها حبيبته.

وعند مجي الإسلام لم يفته تكريس هذا المفهوم، ووضع لذلك معالم وفرض على المؤمن الصادق أن يلتزم بضوابطه، فلقد كان الرسول (ص) قدوة في حب الوطن، حيث قال في مكة " ما أطيبك من بلد، وما أحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك"8، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْنَا أَنْ نَقْتُلُوهَا أَوْ نُنْفِسُكُمْ أَوْ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴾ [سورة النساء: 66]، فقد قرن عز وجل الجلاء عن الوطن بالقتل، وحب الوطن (الديار) بحب النفس، هذه

النفس التي هذبها الإسلام تجردها ميسون بنت بحدل من بعض عواطفها لتقدس الوطن وتمجده في قولها:

فَمَا أَبْغَى سِوَى وَطَنِي بَدِيلًا فَحَسَنِي ذَاكَ مِنْ وَطَنٍ شَرِيفٍ⁹

وبعد أن تطورت الأوضاع بعد الإسلام وتوسع العمران ، أصبح الوقوف على الأطلال من مكونات النفس البشرية العربية ؛ فكل مكان يقيم فيه الشاعر يعتبره وطنًا.

لعل مفهوم الوطن أخذ يتشكل في الذهنية العربية مع ابن الرومي في

قوله: وَطَنٌ صَحِيحٌ بِهِ الشَّيْبَةُ وَالصَّبَا وَلَبِستُ ثَوْبَ العُمَرِ وَهُوَ جَدِيدٌ¹⁰

فبهذا المعنى تحول الوطن من حيز أو إلى بلد النشأة والشباب، ولعل هذا المفهوم مازال سائداً عند الكثير، غير أن أبا العلاء المعري يعطيه معنى اجتماعياً حسب قوله:

مُلِّ المَقَامُ فكمْ أَعاشِرُ أُمَّةً أُمَرَّتْ بِعَيرِ صَلاحِها أُمَراؤُها

ظَلَمُوا الرِّعِيَةَ وَاسْتَجازُوا كَيْدَها فَعَدَوْا مَصالِحَها وَهُمُ أَجراؤُها¹¹

فظلم المجتمع يجعل الشاعر الإنسان يمل البقاء في وطن يسوده الظلم، ولا

يبتعد هذا قول الشاعر جميل صدقي الزهاوي :

لولا تَفاقُمُ شرِّ لَيْسَ يُحتمَلُ ما كُنْتُ عَن وَطَنِي بَعِدادَ أَرْتَجِلُ¹²

إن كان ذلك الارتحال اضطرارياً تحت وطأة الاضطهاد والظلم أو فراراً من الفاقة، إلا انه لا يعني كراهية الشاعر لوطنه و مسقط رأسه، فقد ظل حب الوطن النبوة الطاغية العالية في الشعر العربي كقول الشاعر خير الدين الزركلي :

إن كان ذلك الارتحال اضطرارياً تحت وطأة الاضطهاد والظلم أو فراراً من

الفاقة، إلا انه لا يعني كراهية الشاعر لوطنه و مسقط رأسه، فقد ظل حب الوطن النبوة الطاغية العالية في الشعر العربي كقول الشاعر خير الدين الزركلي :

لو مَثَّلُوا لي موَطَنِي وَتَنَّا لَهَمَمْتُ أَعبُدُ ذَلكَ الوِطَنَ¹³

انه من أسمى التعابير عن حب الوطن، الذي تتشابك فيه مشاعر الهوى، والحب، والحنين التي تنعش الإنسانية، وتفتح مجال إدراك البحث عن كيف يبني الإنسان الوطن ويحميه.

قد يعيش المرء مترفا في غير وطنه مع الطبقة الراقية، إلا أنه لا يستطيع مقاومة الحنين إلى الوطن، كقول الشاعر الأعشى:

وَاضِعًا فِي سَرَاةِ نَجْرَانَ رَحْلِي نَاعِمًا غَيْرَ أَنِّي مُشْتَاقٌ
فِي مَطَايَا أَرَبَابُهُنَّ عِجَالٌ عَنْ نَوَاءِ وَهْمُهُنَّ الْعِرَاقُ¹⁴

لقد عاش الأعشى بين سادات نجران منعما إلا أن نفسه بقيت مشتاقة إلى وطنه العراق، فالعيش في الوطن مع الفقر والإقلال خير من السعة بعيدا عن الوطن، لأنه المفضل على غيره من الأوطان في جميع الأحوال على حد تعبير الشاعر:

بِلَادًا أَلْفَنَاهَا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَقَدْ يُؤَلَّفُ الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِالْحَسَنِ
وَتُسْتَعَذَّبُ الْأَرْضُ الَّتِي لَا هَوَاءَ بِهَا وَلَا مَأْوَها عَذْبٌ، وَلَكِنَّهَا وَطَنٌ¹⁵

تطور مفهوم الوطن:

تطور مفهوم الوطن في العصر الحديث، فتوسعت حدوده ومعانيه، فبعدما كان الانتماء إلى القبيلة أو العشيرة، أصبح اليوم موقفا سياسيا وفلسفيا، فهو بذلك ليس قديما في ثقافتنا العربية، وقد علينا كغيره من المفاهيم من الثقافة الغربية، ولم يعرف تطورا وفعالية كبيرين في منظوماتنا الثقافية، ولعل وراء ذلك المنتج الفكري الذي شهد نقضا ملحوظا في مختلف حقولنا الفكرية والعلمية، ومنها مناقشة فكرة الوطن وما اشتق منه كالوطنية والمواطنة في أشكائها الحديثة، وهو أمر جلي للعيان خلال القرن العشرين، ولعل تأخره في عالمنا العربي أحدث ضباية وتصورا تأرجح بين الحلم والواقع، بين ما يجب أن يكون وما هو كائن.

أخذ الشعراء الوطن هيكلًا جديدًا فعدا رمزا للمرأة، حيث الحنان، الأمان، الاستقرار، وقد قال محمود درويش: "عيونك شوكة في القلب توجعني... وأعبدها وأحميها من الريح وأغمرها وراء الليل والأوجاع"¹⁶، ففي ذلك ما يكشف عن تعلق الشاعر العربي اللامحدود بوطنه وعشقه له لأنه وراثي يولد مع الفرد من خلال ارتباطه بالأسرة، وبمسقط رأسه لينمو من خلال الأسرة والمدينة والمسجد والإعلام والأتراب، كلها تشترك في تفعيل هذه الشحنة العقلية الوجدانية التي تكمن في أعماق الفرد لتظهر في مواقف كثيرة تتصل بوضعه على

مستويات ومجالات مختلفة ترسم في شكل سلوكيات تعبر عن موقفه ورأيه تجاه ما يعرفه مجتمعه من أحداث.

يكثر الحديث عن حب الوطن - خاصة في المناسبات - في الإذاعات الرسمية، وما يلقن لطلبة المدارس، حيث ترسم الصورة الحاملة لهذا الوطن المفدى، مصدر العزة والكرامة، وليس هنالك شك في ذلك عند أي مواطن، لكن الوطن في الواقع ما هو كائن يتراءى لنا فيمن وما حولنا ؛ في الشوارع ، في الإدارة التي تنتمي إليها وغيرها من الإدارات، ويتراءى لنا على صفحات الجرائد وما تحمله من أخبار ومشاكل يعيشها المواطن، ويتراءى لنا عندما نقدم رأياً أو انتقاداً - إن كنا مؤهلين لذلك - في العلاقة مع الهيئات التنفيذية.

مازالت فكرة الوطن ومشتقاته (الوطنية والمواطنة) في حاجة إلى توضيح في وطننا العربي، فلا يمكن فصل بعضهما عن بعض؛ إذ لا يمكن تصور وطن بدون وطنية ولا مواطنة. فالوطن ذلك الحيز الذي تمارس فيه الوطنية في انتظام عن طريق المواطنة.

إذا كانت المجتمعات الغربية حددت أوطانها و أوجدت لها ميثاقاً أو عقداً ، وسمحت لكل المواطنين بالمشاركة دون إقصاء، فماذا حققت المجتمعات العربية من ذلك؟ يبدو أننا لم نحقق إلا الوطن الأرض الذي قد لا يتعدى مفهوم ابن الرومي الذي سبقت الإشارة إليه حيث يركز على أساس الأهل ، وكما عبر عنه المجنون:

أُمُّرُ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى أُقْبِلُ ذَا الجِدَارَ وَذَا الجِدَارَ
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغْفُنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبٌّ مِّنْ سَكَنِ الدِّيَارِ¹⁷
فالأحبة والأهل هم أساس حب الديار أو الأوطان.
الوطنية:

مصطلح يستعمل للدلالة على المواقف الايجابية والمؤيدة للوطن من طرف الأفراد والجماعات، ويمكن اعتبار المواقف الآتية مواقف وطنية كالفخر بالثقافة والإنجازات احترام العلم ، النشيد الوطني، وبعض المظاهر التي تدل على الولاء للدولة كمساندة الوطن في سياسته السلمية والحربية.

لن تكون هذه المواقف إيجابية إلا إذا كان الأفراد والجماعات يجمعون على الانتماء الحر الواعي لهذا الوطن ثقافة و حضارة ، مما يؤدي إلى التعبير عن هويته حتى يمثل ذلك الانتماء بعدا حقيقيا لوجود الفرد و الشعب؛ فالوطنية هي بسمه الانتماء إلى الأرض باتجاه الميل نحو الدفاع عن الوطن لمواجهة الأخطار الخارجية، فإذا كانت صادقة مخلصه عبرت عن تطلعات الأفراد والجماعات لتحميا كريمة كغيرها من الشعوب الغربية في جو من الحريات الواسعة التي لا تمس حريات الغير، والتمسك بثقافة الحوار وثقافة الاختلاف ، وتبقى مصلحة الوطن نقطة الاتفاق والالتفاف ؛ فالحوار والاختلاف من أجل الوطن، لا من أجل إظهار التفوق على الآخر، ولن يتأتى للأفراد والجماعات ذلك إذا لم تسد بينهم روح التسامح؛ فكل من يعيش على الأرض الوطن يحق له أن يشارك في بنائه ويتفاعل مع مجتمعه، فالوطنية الحقيقية ليست إلا الإخلاص في العمل وإتقانه. غير أنه يساء فهم الوطنية فتتحول إلى شوفينية وحتى عدائية، فقد قال محمود درويش: " الوطن ليس صنما يعبد أو يكسر، إنه حقل للعمل، وقابل للمساءلة المتبادلة، بمعيار كمية العمل المبدول فيه، وبمقدار ما يوفر للمواطن من كرامة وحرية"¹⁸ ، فانعدام الوفاء والإخلاص يؤدي لا محالة إلى انهيار الوطن.

شير مفهوم المواطنة السائد حاليا إلى ما يتمتع به المواطن من حقوق دستورية مقابل ولائه للوطن، وتعتبر الثورتان الفرنسية (1789) والأمريكية (1775) محطات حاسمة في تطور المفهوم الذي يهدف إلى تمييز المواطن ذي الحقوق عن المفهوم السابق الذي يعتبر الخاضعين لسلطة الإمبراطور رعايا أو أتباعا يتوجب عليهم طاعته دون مناقشة.

ويمكن القول إن المواطنة هي وحدة وتوحيد الانتماء والولاء من مجموع السكان على تنوع أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم للوطن الذي يأويهم ، مما يحتم ذوبان خلافهم واختلافه للمشاركة والتعاون في بناء الوطن والعمل على تنميته والحفاظ عليه.

ولعل للمواطنة عناصر لا بد منها حتى تستوي، ولا تبقى شعارا أجوف يستغله الديماغوجيون؛ فعنصر الانتماء للوطن يحتاج إلى عناصر أخرى تشد من أزره

ومنها المشاركة في السلطة العامة، والمساواة ؛ فكل مواطن له نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات ، لكن كثيرا ما يكون الخلل في فهم المواطنة في عالمنا العربي حيث يربط مفهومها بمفهوم السلطة ، فإذا كنت مخلصا للسلطة فمعناه انك مخلص للوطن.

لقد أتحمتنا القصائد الوطنية (الشعر الوطني) بروح وطنية مزيفة، قتلت طموحنا، ومكنت الإحباط من أن يدب فينا، لقد كان عبد الله القصيمي - إلى حد ما - على حق عندما وسم كتابه ب" العرب ظاهرة صوتية " ¹⁹ ، فأين الأمة العربية من تلك القصائد الوطنية الرائعة التي رددناها منذ الصغر ولازلنا، فواقعنا اليوم عكس ذلك؛ هل من وحدة عربية، وتقارب سياسي، وتفاهم اقتصادي، صحيح أننا ضحايا "سايس بيكو"؛ أصبحنا أوطانا، لم تستطع بعد التخلص من أجواء البسوس وداحس والغبراء، فكل منا مصاب بجنون العظمة ، الدولة التي تنقاد لها الدول العربية .

لعلنا اليوم ندرك أننا كنا مسيرين لأقدار علمية وثقافية ودينية لا تنفع مستقبلنا، فبات لزاما البحث عن العلم والمعرفة والثقافة المتنورة غير المثقوبة علنا نستطيع تكسير قيود الغربة الثقافية، وقد يكون البعض دفع تكلفة باهظة من اجل اشتراء عقله. إن كان الشاعر أو الكاتب صادقا فيما يقوله، فأين صدى ذلك في الواقع على الأرض؟ ألم يبق صدى يردد؟ ، ولم لا تترجم الأفعال إلى أقوال؟

لم لا نواجه هذا الواقع بما قاله رائد النهضة الجزائرية عبد الحميد ابن باديس فيوثق كل وطنه الخاص بالوطن الكبير، "نعم إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا، هي منا على بال، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد إننا لا بد أن نكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص ²⁰ ، بذلك يكون ابن باديس قد طوي المسافة بين الوطن (الجزائر) ، والوطن العربي الإسلامي، فأصبح الوطن واضح المعالم في نظره ؛ إنه الجزائر بمحدودها القانونية المعترف بها.

الدين والوطن والأمة

لازال الاتجاه الديني في بعض البلدان العربية ينظر بنوع من الريبة إلى فكرة الوطن والمواطنة والوطنية ، ولم يهتم علماء الدين بذلك؛ فقد ابدوا قلقهم من تقديم العلاقة الوطنية على العلاقة الدينية، وكذا الاحتفال بالأعياد الوطنية وتكريم الرموز الوطنية كالوقوف للعلم الوطني، فالوحدة الوطنية في نظرهم سلبية وغير إسلامية ، وقد أصدرت عصبة من المشايخ سنة 2008 بيانا تصف فيه ذلك بأنه تشبه بالكفار، كما نددوا بالعلماء الذين أجازوه " ... كل ذلك من التشبه الظاهر بالكفار الذي دلت نصوص الشرع ومقاصده على تحريمه"²¹، وقد يكون وراء ذلك اعتبار المشايخ.

رأى ابن باديس أن الوطن " قطعة من الأرض خلقها الله منها (الأمة) ومنحها لها، وأما هي ربتها وصاحبة الحق الشرعي والطبيعي فيها، سواء اعترف لها من اعترف وجحده من جحد"²² ، ليمهد للمعركة على أرض الواقع مع المحتل. إن كان ابن باديس قد اعتبر الجزائر وطنا ، والجزائريين أمة، حيث لا وجود لأحدهما دون الآخر، ومنهما تنبع الوطنية التي تتجلي في حب الفرد وطنه و أمته حيث يقول في ذلك: " من نواميس الخليقة حب الذات للمحافظة على البقاء، وفي البقاء عمارة الكون؛ فكلما تشعر النفس بالحاجة إليه في بقائها هو حبيب إليها فالإنسان منذ طفولته يحب بيته وأهل بيته لما يرى من حاجة إليهم واستمداد بقائه منهم، وما البيت إلا الوطن الصغير، فإذا تقدم شيئا في سنه اتسع أفق حبه فأخذت تتسع يقدر ذلك دائرة وطنه"²³ ففلسفة حبنا الوطن تسير من الجزء نحو الكل. ولعل هذا ما تمتاز به الوطنية القوية المتماسكة المترابطة؛ فكل منا يحب قريته ومدينته، وهذا غير خاف في خطاباتنا وسلوكياتنا، وهو حق مشروع لكل منا. إن كان الأمر كذلك ، فليس من حق أحد محاولة تفويض بناء هذه الفلسفة، حتى لا تنشبت مشاعرنا الوطنية، وتوه أجيالنا اليوم بين أفكار متنوعة لنكتنف الضبابية موافقهم الوطنية، لكن بكل أسف حاول البعض ذلك بفكرة الانتماء إلى الأمة، وهي فكرة سياسية تشربتها تيارات تهدف إلى فصل المجتمعات العربية عن تكويناتها السياسية المعروفة بحدودها الجغرافية بعيدا عن التطور العقدي الذي يدعو إلى

الإخوة الإسلامية ، ولعل هذه المحاولة كانت من خلال الاعتماد على منهج تعبوي للوصول إلى تعبئة أومية .

بمثل هذه الفكرة عرقل توسيع دائرة الوطنية التي أشار إليها ابن باديس سابقا، مما جعل العلاقة غير سوية بيننا وبين كياننا الأصلي، فتشعبت ، وتبعثرت عبر جغرافيا واسعة ليس بالإمكان للممة أطرافها، من أفغانستان والشيشان إلى كوسوفا ... تحت تأثير خطاب فكري متعصب، انقاد له البعض من شبابنا حيث وجدوا هناك لنصرة الأمة (الفكرة السياسية) والانتماء إليها.

ولعل الذي سهل تسرب مثل هذه الفكرة وغيرها، هو ضعف المناعة الوطنية عند شبابنا ، لأنهم لم يلقحوا بالوطنية الحقة، ولم يغرس فيهم التمسك بالوطن كما صرح ابن باديس في وجه المحتل:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ

لو تم ذلك لما وجدت فكرة الأمة (الفكرة السياسية) إلى عقولهم سبيلا، وما خدروا بها وبغيرها من المسميات التي أفرغت من محتواها العقدي.

لقد كان حريا تفعيل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الاستقلال، وإبقاء التعليم الأصلي في وطن كالجرائر - على سبيل المثال - ليساهم في تحصين المجتمع من اللجوء إلى البحث عن فتاوى في الخارج، واعتناق مذاهب بعيدة عن المجتمع .

ولا بد من تمكين المثقف الحقيقي ليقوم بدوره في ترسيخ الوعي بالوطن وتجديد الخطاب وتطويره، إلا أن ذلك - للأسف - لم يحدث لوجود عدة عوامل منها التصييق على الحريات، وخنق الآراء على اختلافها ، مما قد يتسبب في موت الإبداع الفردي داخل تيار الإبداع العام، فتراجع وتيرة العطاء وتقهقر مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية ؛ فتضعف مناعة الوطن وقدراته، ويسهل تمزيقه تحت أقنعة عدة كالإثنية والطائفية الوهميتين ، ومن ثم يبدأ الصراع الداخلي الذي يؤدي إلى تدمير الوطن وعناصر قواه، خاصة والعالم يعيش أجواء يستغلها العدو الذي لا يدخر جهدا في تأجيحها لتحقيق مصالحه.

الهوامش

- (1) ابن منظور، حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل : لسان العرب ، مادة: (و ط ن) ، دار الجليل ودار لسان العرب، بيروت، 1988، ج6، ص: 949
- (2) الحارث بن حلزة: الديوان، جمع وتحقيق وشرح د. أميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996، ص:28
- (3) أبو تمام : الديوان، تقديم وشرح محيي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، ط1، 1997، ج1، ص:248
- (4) التبريزي يحيى بن الخطيب: شرح القصائد العشر ، مؤسسة المعارف ، بيروت، 2002، ص:11
- (5) 5 الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحنين إلى الأوطان سلسلة اللغة والآداب 1 ، دار الرائد العربي، بيروت ط2، 1982 : 15، 16
- (6) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحاسن والأضداد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (دت)، ص:54
- (7) دوقلة المنبجي، القصيدة اليتيمة، رواية القاضي علي بن المحسن التنوخي ، تقديم: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد ، بيروت، ط1، 1970، ص:34
- (8) الترميذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (209-279هـ) : الجامع الصحيح سنن الترميذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط2 ، 1978، ج5 ، ص:723.
- (9) فاطمة تجور : المرأة في الشعر الأموي (دراسة) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1999، ص:50
- (10) ابن الرومي : الديوان، شرح احمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 2002 ، ج1 ، 496 الجاحظ
- (11) المعري أبو العلاء: اللزوميات، دار صادر، بيروت، ط1 ، 2006، ج1 ، ص:34.
- (12) الزهاوي جميل صدقي : الديوان، الطبعة العربية بمصر ، 1924، ص:356
- (13) أكرم جميل قبس : خير الدين الزركلي شاعر الوطن، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2011، ص:23
- (14) الأعرشي، ميمون بن قيس: الديوان، تقديم د.حننا ناصر الحلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2004 ، ص:228 ،

- (15) الأبيشيخي الخلي، شهاب الدين محمد بن أحمد (790-850هـ) : المستطرف في كل فن مستظرف ، مكتبة الجمهورية العربية مصر،(د ت)، ج2 ، ص: 42.
- (16) محمود درويش: ديوان عاشق في فلسطين ، دار توبقال للنشر، المغرب ، ط2 ، 1990 ، ص:79
- (17) مجنون ليلى، قيس بن الملوح : الديوان، شرح عدنان زكي درويش ، دار صادر ، بيروت ، 1994 ، ص: 127
- (18) محمود درويش : مقدمة مجلة "الكرمل"، مؤسسة الكرمل الثقافية ، رام الله ، فلسطين، العدد 58
- (19) عبد الله القصيمي : العرب ظاهرة صوتية ، شركة مونتاتر للطباعة والنشر ، باريس، 1977
- (20) عمار طالبي: ابن باديس، حياته وآثاره، الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، الجزائر، 1968، ج3، ص:236
- (21) موقع أهل الحديث : 25 شوال 1429 www.ahlalhadeeth.com
- (22) = (23) عمار طالبي: ابن باديس ، حياته وآثاره، م س ، ج3 ، ص: 468 .